مكانة
اللغة العربية
وأثرها فى اللغات الافريقية

للدكتور / محمد عبد الغني سعودي

اللغة وسيلة الاتصال والتعبير عن الكيان الذاتي :

يرى الباحثون أن وحدة اللغة عنصر هام من عناصر الوحدة الوطنية ، أنها أكبر عامل يولد في نفوس الناس ارادة الانتظام في أمة واحدة واذا كان الانسان يتميز عن الحيوان بانه مدني (اجتماعي) وأنه ناطق (مفكر) فان الشعوب تتميز بعضها عن بعض بأن لكل منها لغة خاصة يتكلم بها ، فمما لاشك فيه أن اللغة هي أقوى رباط معنوي بين الافراد ، لأنها وسيلة تفاهمهم ، ولانها وسيلة نقل تراث الاجداد الثقافي الى الاحفاد ، ومتى تفاهم الافراد بلغة واحدة تقارب تفكيرهم ونشأ فيهم شعور بالتعاطف قلما ينشأ مثله في أفراد يتكلمون لغات مختلفة ، وهذا التعاطف عامل في جعل المتكلمين لغة واحدة يؤلفون أمة واحدة . لذلك كانت لغة الامة هي الهدف الاول للمستعمرين ، تعمل

الدول المستعمرة جاهدة على قتلها لنشر لغاتها وبث ثقافتها ، لما في ذلك من تاثير كبير في وأد الروح الوطنية ، أو خلق شعور بالرضى عن افاعيل الدول الاستعمارية وكثيرا ماكان اختلاف اللغة والثقافة عاملا في نشوب الخلافات سواء في التاريخ القديم أو الحديث ، ففي بلجيكا في وقت ما مثلا هدد الانقسام اللغوي الى فلمنك Flemish و والون Waloon وحدة الدولة ، ذلك أن الوالون اللاتينيون كانوا يتجهون في عواطفهم نحو فرنسا ، بينما الفلمنك الالمان يولون وجوههم شطر المانيا وكانت الغلبة لعنصر الوالون بعد الاستقلال مباشرة ولذلك جاهد الفلمنك للمساواة بهم ،ووصل الفريقان أخيرا الى المساواة معا ، وخفت مرارة الشعور الذي كان يكنه كل فريق للآخر ٠

وتعتبر مشكلة الاقلية الالمانية في الالزاس واللورين طريفة من ناحية وتعطي مثلا حيا على أثر اللغة في عملية الدمج والوحدة من ناحية أخرى ، ذلك أن اقليم الالزاس واللورين في فرنسا يقع قرب الحدود الالمانية ، اشتهر بحديده وبوتاسة ، ونظرا لانه متاخم لالمانيا ، فقد كان دائما يتبادله الالمان والفرنسيون تبعا لميزان القوى بينهما واستمر تبادل الاقليم نحو أربع مرات منذ عام ١٨٧٠ ، وبمقتضى معاهدة فرانكفورت عام ١٨٧١ ضمت ألمانيا الاقليم اليها حتى تضعف من قدرة فرنسا الدفاعية وللحصول على حديد اللورين ، وكان هذا من عناصر قوة ألمانيا العسكرية قبل الحرب العالمية الاولى ، ولم يرض الفرنسيون عن هذا الوضع نظرا لانهم وجدوا جيلا من الالمان بدأ يتكاثر في اقليم يعتبرونه جزءا من أراضيهم ، ولكنها لم تستطع شيئا في البداية حتى ضمته بعد الحرب العالمية الاولى ثم استرجعته ألمانيا بعد غزوها لفرنسا عام ١٩٤٠ ، ثم خرجت ألمانيا مغلوبة في الحرب العالمية الثانية وضم الاقليم الى فرنسا ٠

ماذا تفعل فرنسا أمام الاقلية الالمانية في الاقليم حتى تدمجها في الشعب الفرنسى ؟ اتجه التفكير الاساسى الى اللغة فالغاء الالمانية أو التقليل منها سوف يقلل من ولاء هؤلاء السكان بمضى الزمن لالمانيا ، فكانت الخطة هي السماح للطفل عندما يذهب إلى المدرسة أن يدرس اللغة الفرنسية للثلاثة أعوام الاولى ، ولا يدرس الالمانية لغة الوطن الام خلال هذه الفترة ، ثم بعد ذلك يدرس الفرنسية فضلا عن الالمانية حتى يجيد الفرنسية اجادة تامة واذا احتج بعض السكان على هذا على اعتبار أنه تدخل في حرية اللغة فان المنطق الفرنسى يرد عليهم بأنه مادامت الالزاس واللورين جزءا من فرنسا ، فمن صالح أبناء الاقليم اتقان الفرنسية الى جانب الالمانية لانهم سيعملون في فرنسا ٠

ولم نذهب بعيدا وقد كانت أمامنا محاولات فرنسا لفرنسة المغرب العربي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة لولا قوة اللغة العربية وصمودها ، وكذلك

استغلال التفتت اللغوي في بقية القارة الافريقية وفرض لغة كل دولة مستعمرة على شعوب القارة ·

ذكرت أمثلتي من أوروبا متعمدا ، وذلك لنعرف كيف يفعل الاوروبيون بعضهم مع بعض فيما يختص بموضوع اللغة ، ولنعرف ماذا كانوا يقصدون في أفريقية ، ان اللغة ليست مجرد وسيلة أو آلة لترجمة الفكر والاتصال بالغير ، بل هي أيضا تأكيد لماهيتنا الاصلية ، هل نحن أوروبيون أم أمريكيون أم آسيويون أم افريقيون أم عرب ؟

تعدد اللغات الافريقية :

عندما حصلت أوغندا على استقلالها كان راديو أوغندا يذيع بست لغات هي الانجليزية ، لوجاندا Luganda ، رونيورو Runyoru روتورو Rotoro والاتيزو Ateso ، واللو Lwo

وفي مارس ١٩٦٧ عندما افتتح الرئيس السابق لاوغندا ندوة عن وسائل الاتصال الجماهيري في شرق أفريقية ذكر في خطبته الافتتاحية أنه أضيفت الى اللغات السابقة عشر لغات أخرى ستذيع بها اذاعة أوغندا ، ثم أضيفت عدة لغات أخرى في سبتمبر ١٩٦٩ ليصل الرقم الى ثماني عشرة لغة !! وهذه اللغات هي الانجليزية ، لوجندا Luganda لوسوجا Lusoga ، لانيولي Lunyole ، لوساما Lusamaba سيبي Sebei ، رونيورو Runyoro ، روتورو Rutoro رانيا نكوري Runyan Kore روكيجا Rukiga ، لوو Lwo ، الاتيزو Ateso كاراموجنج Karamojong مادى Madi كاكوا Kakwa ، لوجبارا Lugbara ، اللور Alur كوماني Comani ، وهندوستاني Hindustani

ومع ذلك فقد أعلن الرئيس أوبوتي عام ١٩٦٧ بأن الاربع عشرة لغة التي كان يذاع بها في ذلك الوقت لم تكن ضرورية تماما ، وأضاف ومع ذلك فلكوني في مركز السلطة والحكم فلا بد لي من مراعاة الاحاسيس والمشاعر السياسية Political feelings للسكان ، ووضعها في الاعتبار عند تشكيل سياسة الدولة ·

كل هذا الخليط من اللغات في مساحة من الارض تبلغ نحو ثلث مليون كيلو متر مربع وبعدد من السكان نحو ١٠ مليون نسمة ، فكيف الحال على مستوى القارة بمساحة تزيد على مساحة أوغندا بنحو ٩٠ مرة وبسكان يبلغون مبعة وثلاثين مرة قدر سكان أوغندا ، لاشك أنكم تتصورون حجم المشكلة وضخامتها ·

وقد أشار الى هذه الحقيقة كل من R. Bascom, Melville Herskovits في كتابهما Continuity and change in African Cultures. Chicago 1959 حين يقولان (**تعتبر افريقية من الناحية اللغوية من أشد المناطق تعقيدا في العالم ، وربما لاينافسها في ذلك سوى سكان أمريكا الجنوبية ، ويقدر عدد اللغات في افريقيا عادة بثمانمائة لغة ، غير أن هذا التقدير اقل من الواقع لاريب في ذلك**)

عند غالبية الكتاب أن اللغة ليست بعدا أساسيا للوطنية فحسب ، وانما هي أيضا مقياس ومعيار دقيق لها ، فأين تقع الدولة الافريقية على هذا المقياس ؟ وما بالك اذا انتقلنا من الدولة الى القارة ؟ للاسف لابد وأن نقرر بأن اللغة قد تكون نقطة الضعف الكبرى في بناء الوطنية في الجزء الاكبر من القارة ذلك أن القارة تضم عددا لاحصر له من اللغات واللهجات ، فاذا كانت في بعض التقديرات تعطي القارة ثمانمائة ، فهي في تقديرات أخرى تقترب من الالف ، وأيا كان الرقم الدقيق فهذا في جملته معناه أن أفريقيا وحدها تضم نحو نصف لغات العالم قاطبة (١)

ولو نسبنا هذا الى عدد السكان في القارة لكان متوسط قوة اللغة الواحدة في أفريقية لايزيد على ثلث المليون ان لم يقل ، وهذا وحده كفيل بأن يكون عقبة في سبيل التماسك والترابط ، ولكن لما كان هناك لحسن الحظ لغات واسعة الانتشار كاللغة العربية ، فان هناك بالضرورة ولسوء الحظ لغات تقل كثيرا جدا عن هذا المتوسط النظري ·

أفريقية الجنوبية :

ويتكلم السكان في أفريقية جنوب خط الاستواء لغة أو أخرى من ٣٥٠ لغة تنتشر هناك يطلق عليها البانتو Bantu ، وهذه المجموعة تدخل ضمن عائلة لغوية واحدة تتشابه جميعا في مفرداتها وقواعدها ويظهر أنها كلها مشتقة أصلا من لغة واحدة سابقة عليهم جميعا يطلق عليها السابقة للبانتو Proto - Bantu وكلمة البانتو ذاتها في هذه اللغة معناها الناس ، ومن أشهر لغات البانتو اللينجالا Lingala وهي اللغة الرئيسية في زائير الآن ، وبدأت زائير في اعتبارها لغة رسمية ، ويتكلمها أصلا عدة ملايين من السكان ، وهي أصلا لغة سكان وسط زائير ، وانتشرت في البلاد بعد أن أدخل البلجيكيون عددا منهم في الجيش وانتشروا في البلاد وانتشرت لغتهم معهم ، ومن لغات البانتو أيضا النجوني nogoni في جنوب شرقي جمهورية جنوب أفريقية وتضم مجموعة لغات الزولو ، والاكسوزا والسوازي وهناك البمبا Bemba التي يتكلمها عدد كبير من سكان زامبيا وفي غرب أفريقيا تتعدد اللغات ومن أشهرها اليوروبا لغة سكان جنوب غرب نيجيريا ويتكلمها نحو ١٥ مليون نسمة ، ولغة الايبو في جنوب شرقي نيجيريا ويتكلمها نحو ١٥ مليون

نسمة ، ولغة الايبو في جنوب شرقي نيجيريا ويتكلمها نحو ٩ مليون نسمة ، وهناك الماندي Mande بلهجاتها المختلفة من البمبارا Bambara والديولا Dyula المعروفة في غينيا وما جاورها والولوف Wolof في السنغال والفولاني التي تنتشر من السنغال الى شمالي نيجيريا غير أن أكثر اللغات انتشارا في غرب أفريقيا بحيث أصبحت لغة تفاهم مشترك Lingua Franca هي لغة الهوسا ·

أما في شرق أفريقية فهناك العديد من اللغات كالانكولي والسوكوما والبمبا والتونجا غير أن السواحيلية هي لغة التفاهم المشترك ·

وادا عرضنا توزيع اللغات بصورة أخرى يظهر لنا مدى التمزق والتفتيت اللغوي ، ففي زائير ٤ لغات رئيسية بالاضافة الى مايزيد على ٤٠ لغة فرعية ، وفي نيجيريا ثلاث لغات رئيسية فضلا عن ٤٥ لغة صغرى ، بينما في تنزانيا أكثر من ١٠٠ لغة ولهجة بين اثني عشر مليونا من السكان ، وفي ليبيريا ٢٠ لغة وطنية بين ١/٢ مليون · وهكذا لايوجد في أفريقية جنوب الصحراء دولة واحدة موحدة لغويا ربما باستثناء الصومال ·

غير أن ثمة نقطة بالغة الاهمية ، فلشد مابولغ في تصوير تعدد وتفتت اللغات في أفريقيا جنوب الصحراء ، ولكن الحقيقة الموضوعية هي أن كثيرا جدا مما قد يسمى (بغير دقة) لغة هو مجرد لهجة ، ولم يباعد بين الألسنة الا العزلة الجغرافية والبشرية الطويلة ولهذا قد يبدو عدد اللغات أقل من هذا بكثير ، ومما قد نستشهد به في هذا السبيل سرعة انتشار اللغات المشتركة في أجزاء كبيرة ، وما انتشارها الا لتقارب في أصول لهجات هذه الاقاليم ·

وتتميز هذه اللغات جميعا بأنها غير مكتوبة باستثناءات تعد على عدد أصابع اليد فهي تعتمد على الرواية ، ومن المعروف في أفريقيا مثلا أن العقود الشفهية بين الافراد لها قوة العقود المكتوبة في المجتمعات الاخرى ولذلك اعتمد التراث في جزء كبير منه على ما يتناقله الرواة من جيل الى جيل لانه غير مكتوب · وتقع مسئولية هذا العمل على أناس معدودين في القبيلة ، وهم من كبار السن عادة ، ويعرفون عند الماندنج مثلا باسم Griots · ولما كان التراث السابق غير مكتوب ، يصبح الخطر الكبير الان في أفريقيا المعاصرة واضحا للغاية حيث التطورات السريعة من جانب ووفاة هؤلاء الكبار من جانب آخر ، وكما قال Gilbert - Vielliard وهو مؤرخ وباحث اجتماعي في المعهد الفرنسى لافريقية السوداء « عندما يتوفى رجل مسن في أفريقيا ، فمعنى هذا احتراق مكتبة كاملة » ·

ورغم أنها غير مكتوبة في معظمها (١) ، فهي غنية بالقصص والاساطير التي تكثر بها الامثلة والحكم التي تستخدم أثناء الكلام ·

ويكن الناس احتراما خاصا لهؤلاء الحكماء الذين يحفظون الامثلة ويستعملونها في الوقت المناسب ، أما القصص والاساطير فعادة ماتحكى في الليالي المقمرة كما يحدث عند الايبو في جنوب شرق نيجيريا والتي مايكون فيها بطل القصة غالبا السلحفاة الذكية وعدوها الفهد • كما أن هذه اللغات غنية بالاشعار التي تنشد في المناسبات المختلفة وأهمها المناسبات الاجتماعية كالزواج وولادة الاطفال والدفن ، وعادة مايصحب انشاد الاشعار على الموسيقى الرقصات الخاصة بكل مناسبة •

ورغم أنها غير مكتوبة في معظمها (٢)، فهي غنية بالقصص والأساطير التي تكثر جنوب شرقي نيجيريا هناك أربعة أفعال Verbs بمعنى (يأكل) يتوقف استعمال كل منها على نوع الطعام ، وهناك ٢٠ كلمة تصف سير الانسان •

لغات التفاهم المشترك :

(أ) السواحيلي :

احدى اللغات الاثنتي عشرة الرئيسية في العالم ، واحدى اللغات المليونية ، واللفظ السواحيلي مشتق من اللفظ العربي السواحيلي جمع ساحل ، ومعناها هنا سكان السواحل ، ويقصد بها السواحل الشرقية لافريقية ، ويستخدم اللفظ بصفة عامة لكل سكان هذه السواحل وهم خليط من الافريقيين والعرب والايرانيين • ويرجع هذا الى موقع هذا الجزء مطلا على المحيط الهندي ومقابلا للسواحل الجنوبية لشبه جزيرة العرب والخليج العربي ، وبالتالي نشاط الاتصالات بين الجانبين نتيجة تضافر الظروف الجغرافية في هذه المنطقة من المحيط الهندي • من ثم كانت السواحيلية هي لغة من لغات البانتو الافريقية ولكنها استعارت كثيرا من ألفاظ اللغات الاخرى وأهمها العربية والفارسية • وترجع أهميتها كلغة أفريقية الى أنها أهم لغات شرق أفريقية يتكلمها أكثر من مليون نسمة كلغة أم ، فضلا عما يزيد على اثنتي عشرة مليون أخرى يتكلمونها كلغة ثانية الى جانب لغاتهم الأصلية وازدادت أهميتها بعد الاستقلال حيث أصبحت اللغة الرسمية الحكومية لتنزانيا وكينيا ويمتد توزيعها الجغرافي ليشمل رواندا وبوروندي Rwanda , Burundi وحتى شرقي زائير ، أما على الساحل فتمتد من جنوبي الصومال الى شمالي موزمبيق ، ويمكن أن نضيف أيضا أنها تفهم في موانيء البحر الاحمر الجنوبية وعلى طول سواحل شبه جزيرة العرب وعمان ، ولهذا الانتشار الواسع كانت السواحيلية هي اللغة التي اتفقت كينيا وتنزانيا على أن تكون اللغة الرسمية الوطنية البديلة للغة الانجليزية بعد خروج بريطانيا ، وتستعمل كلغة للتدريس في كل مدارس تنزانيا ، ومناهجها في جامعة كينيا واوغندا •

ويبدو أن السواحيلية بأشكالها ولهجاتها المعروفة الآن بدأت في الظهور منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، وأخذت بعد ذلك نحو قرنين لتصبح وسيلة التفاهم الرئيسية في هذه المساحة الضخمة من القارة ·

والسواحيلية لغة غنية بمفرداتها ، وتعرف الشعر منذ أوائل القرن الثامن عشر وقد استعملت الحروف العربية لكتابتها أول الامر ، وان استعملت الآنالحروف اللاتينية ، وتشتهر بصفة خاصة بالشعر او القصائد الدينية التي يطلق عليها tenzi وقد تبلغ بعض القصائد الدينية في طولها مئات الابيات · وأما الشعر السياسي والذي يطلق عليه Mashiri فيستعمل في المناقشات والمجادلات · ومن أشهر شعراء الماشيري الشاعر الوطني موياكابن الحاج جاسيني Muyaka bin Haj al Chassainy (١٧٧٦ ــ ١٨٤٠) ومن الشعراء والكتاب الاكثر حداثة شعبان روبرت الذي يكتب في السير الذاتية وقصص الاطفال ، ومنهم أيضا الشيخ كالوتا عمري عبيدي Kaluta Amri Abedi وفي تاريخنا المعاصر نذكر كتابا يعتبرون أعلاما في الادب السواحيلي مثل أحمد ناصر الذي حاز جائزة كينياتا في الادب لعام ١٩٧٢ وابراهيم حسين الذي كتب كثيرا من التمثيليات ولا ننسى أن الرئيس نيريري قد ترجم بعضا من روايات شكسبير الى السواحيلية ، وقبل أن أنهي حديثي يجب أن أشير بأمثلة الى الالفاظ التي دخلت على البانتو من اللغات الاخرى وكونت السواحيلية وخاصة العربية مثل :

adabu	الاخلاق	Baluri	بلور
Atya	صحة ـ عافية	Dawa	دوام
arobini	أربعين	Adhuri	الظهر
Askari	عسكري	Boustani	بستاني
baada	بعد	Elfu	ألف
bata	بطة	Ama	أما
Chai	شاي	Asubuhi	الصبح
edashra	احدى عشر	Baadi	بعدي
farasi	فرس	bile	بدون « بلا »
hadithi	قصة ـ حدوته	Dakika	دقيقة
ja	أتى ـ جاء	faida	فائدة
Juma	جمعة	ghali	غالي « مرتفع السعر »
Kahowa	قهوة	hakika	حقيقة
Kata	قطع	jaribu	جرب
Kitabu	كتاب	Kabla ya	قبلي
Lazime	ضروري ـ لازم	Kalamu	قلم
maana	معنى	kingereza	انجليزي
Adui	عدوى	Laini	لين ـ ناعم
Alfagiri	الفجر	Safari	رحلة
asali	عسل	Lugha	لغة

(ب) الهوسا :

والهوسا من ناحية الاصل هي اسم لغة قبل أن تكون اسم قبيلة أو جماعة معينة ثم أصبحت بعد ذلك علما على معظم سكان شمالي نيجيريا وما جاورها من النيجر • ومع ذلك لايمكن فهم الانتشار الواسع للغة الهوسا في غرب أفريقيا الا بفهم طبيعة الهوسا أنفسهم • فهم يعيشون على الزراعة المعتمدة على المطر في المكان الاول ، ولما كان هناك فصل جفاف طويل ، فقد اتجه كثير منهم في هذا الفصل الى حرفة التجارة وقطعوا نتيجة لذلك مسافات طويلة حتى بلغوا سواحل غرب أفريقية فتجدهم في غانا كما تجدهم في داهومي وساحل العاج وغيرها ، يعيشون كجماعات خاصة في أحياء خاصة بهم Sabongari في ايبادن في جنوبي نيجيريا ، وتخصصوا في تجارة سلع معينة كثمار الكولا وتجارة الماشية • ومن هنا انتشرت لغتهم معهم أينما ساروا •

ولغتهم من أهم لغات غرب أفريقيا بعامة ، فهي اللغة الام لما يتراوح بين ١٥ ، ٢٠ مليون نسمة ، بالاضافة الى ١٠ ملايين آخرين ليسوا من الهوسا ومع ذلك يتكلمونها وكانت هذه اللغة حتى عام ١٩٦٦ تشارك اللغة الانجليزية كلغة رسمية في الاقليم الشمالي لنيجيريا •

ولغة الهوسا غنية بالتراث غير المكتوب أي بالتراث المحفوظ ، فهناك قصص الحيوان والاساطير العديدة التي تعطى تفسيرا لكثير من الاحداث التاريخية • أما الهوسا المكتوبة فقد بدأت منذ نحو قرنين مستعملة الحروف العربية ويطلق على هذا النوع Ajami كما في كتابات وروايات الحاج أبو بكر أمام • وهذه تميز عن الهوسا التي كتبت بالحروف اللاتينية والتي استعملها بعض الكتاب المحدثين ويطلق عليها Boko وتعرف لغة الهوسا الشعر « واكا » ويطلق هذا اللفظ أيضا على الاغاني • وعادة مايتغنى بالشعر ، فهذا أمر من تقاليد الهوسا ، وتتعدد أبواب الشعر من المدح (يابو) لمن يجزل العطاء أو شعر الهزل (زامبو Zambo) وقد يكون خاصا بالصيد أو الزراعة أو حتى الشعر السياسي •

ويستعمل المنشد بعض الآلات الموسيقية التي تصاحب الغناء كالطبل والربابة « الكمان » والتأثيرات الثقافية على الهوسا ولغتهم من جانب اللغة العربية والاسلام كبيرة للغاية ، وينعكس هذا بصورة خاصة في اللغة ، ذلك أن اللغة العربية هي لغة القرآن ولغة الاسلام الذي يدين به الهوسا جميعا ويتضح هذا في بعض الالفاظ مثل :

Adali — العدل
alama — علامة
Alla — الله
Albashiri — البشير

alada — العادة
Alhamis — الخميس
Altajiri — التاجر
alif — الف

Arbain	أربعين	hamsin	خمسون
hosara	خسارة	in sha alla	ان شاء الله
Jumaa	الجمعة	Zube	صب

أفريقيا الشمالية :

ويختلف الحال في أفريقيا الشمالية ، فهنا نجد أكثر اللغات انتشارا في القارة بصورة عامة ، حيث تكاد تغطي اللغة العربية كل أفريقية الشمالية ومساحة ضخمة من الصحراء الكبرى وتصل الى السفانا Savanna وتصل بذلك الى منحنى نهر النيجر والى نهر السنغال ، وبذلك يتكلمها مايقرب من مائة مليون نسمة أو نحو ثلث سكان القارة وثلث مساحتها بينما تنتشر بقية اللغات التي ذكرناها في الثلثين الأخرين وفي هذا النطاق لانجد لكل وحدة سياسية لغة وطنية وانما فرشة لغوية واحدة تغطي هذه المساحة ، واللغة العربية هي احدى اللغات السامية التي انتشرت في شبه جزيرة العرب ، وكذلك على الجانب المقابل من أفريقيا ، فالامهرية والتجرينية في أثيوبيا هي من مجموعة اللغات السامية ، ويبدو أن اللغة المصرية القديمة قد انطبعت بدورها بالطابع السامي منذ زمن قديم جدا ، وكان هذا نتيجة هجرات قديمة بحكم الجوار ، ومن ثم يمكن القول بأن اللغات السامية ومنها العربية كانت أفريقية تعرفها قبل الاسلام ، وان كان الانتشار الواسع لها قد تم بعد ظهور الاسلام في القارة ، ومن البديهي أن هذه الوحدة اللغويه هي نواة فكرة الوحدة العربية ، ويرجع انتشارها الى الانتشار العربي في القارة وكذلك انتشار الدين الاسلامي ، فهي لغة الدين أيضا لذلك تجد المسلمين الذين لايتكلمون العربية ، يرددون القرآن باللغة العربية في عبادتهم ، وفي الغالب يعرفون العربية الى جانب لغتهم الاصلية كما هو الحال عند قبائل البجا في شرقي السودان وشمال شرقي أثيوبيا وعند بربر الجزائر والمغرب ، وهي لغة أساسية في الصومال يتعلمها طلبة المدارس الى جانب الصومالية وكذلك الحال في موريتانيا الى جانب الفرنسية واذا كانت أفريقية العربية وحدة لغوية متجانسة ، فليس معنى هذا أنها تخلو تماما من الاقليات اللغوية ولكن هذه الاقليات ضئيلة من ناحية العدد ، هامشية من ناحية التوزيع فهي على الاطراف أو الجزر ، تراجعت أمام العربية كما في البربرية التي تظهر أحيانا في واحات الصحراء ، أو جزيرة جربة في تونس أو السفوح المرتفعة كما في جبال أوراس والقبائل ·

فيتكلم البربرية في تونس ١٪ من مجموع السكان وتصل نسبتهم في الجزائر الى ١٥٪ ترتفع في المغرب الى ٢٠٪ فضلا عن أن هناك ١٤٪ يتكلمون العربية والبربرية ، وعدا البربرية فعلى حدود المغرب الكبير توجد أقليات لغوية أخرى كالطوارق « لغة تفناغ » الذين يبلغون بضع عشرات من الآلاف على حدود الجزائر وليبيا الجنوبية ، كما تعيش جماعات التبو على حدود ليبيا الجنوبية والنيلوتية Nilatic في السودان الجنوبي ·

وقد لعب الاستعمار دورا خطيرا في منع تسرب اللغة العربية ، كما حدث في السودان الجنوبي حيث منع هجرة العرب وحركة التجارة نحو الجنوب ، وبذلك وقف سدا أمام انتشار العربية تمهيدا من وجهة نظره للتفتيت على اعتبار أن اللغة ركن أساسي من أركان الوطنية وأحيانا يوحي بأن اللغة العربية لاتصلح كلغة علم ، وأن لغة العلم والحضارة هي اللغات الاوروبية لأن اللغة العربية لن تسعف في ألفاظها ، وبالتالي اذا أرادت الدول الافريقية والتي لايتكلم سكانها العربية ، اذا أرادت لغة رسمية لها فخير لها أن تستعير لغة أوروبية ، ولكن نود أن نتساءل من أين استمدت الحضارة الاوروبية الحديثة جذورها وغذاءها الاول الذي به وعليه نمت وتطورت الى شكلها الحالي ، وعن أي طريق عرف الغرب الفكر الاغريقي وحضارة الهند وفارس فهذه لم تنتقل اليهم الا عن طريق العربية ، ولم يكن العرب نقلة حضارة فحسب ، بل أضافوا الكثير ويكفي أن لوغاريتم في علم الجبر هي نسبة الى الخوارزمي ، كما يكفي أن نشير الى الحسن بن الهيثم في الطبيعة وجابر بن حيان في الكيمياء وغيرهم وهذا ينفي فكرة أن اللغة العربية لاتصلح لغة للعلم .

وقد أثرت اللغة العربية في اللغات الاوروبية فكلمة Algabra هي الجبر بالعربية ، بل وتعدى ذلك الى بعض الاسماء مثل Androw فهي ادريس بالعربية ، Jasepk هي يوسف ، Jacab هي يعقوب وهذه بدورها أصابها تعديل في لغة الهوسا فأصبحت Gakubu وقد سبق عند الكلام عن اللغة العربية أن رأينا كيف أن بعض اللغات الافريقية قد تأثرت بها ، وحيث يمكن أن تختتم الكلام عن اللغة العربية بالاستعانة بما قاله واحد من أهم من عكفوا على دراسة اللغات الافريقية وهو Jaseph green berg (Africa as a Finguistic Area)
lp. 25 in, W. Bascon, in. Herskorits, p. 25
في الكتاب السابق ذكره عن أثر كل من اللغة العربية واللغات الاوروبية في لغات أفريقية جنوب الصحراء ، أن الاثر الاسلامي استمر يلعب دوره مدة طويلة من غير انقطاع بحيث صاغ الى حد كبير أنماط الحضارة عند الشعوب الزنجية في السودان بأسره وفي الكثير من أجزاء افريقية الشرقية حتى أنه تغلغل في جهات أخرى تقع جنوب هذه الاقاليم ، وقد انعكس هذا في كلمات مستعارة كثيرة من أصل عربي حتى بين الشعوب غير الاسلامية ، والسؤال الآن كيف انعكس أثر الاوروبيين في اللغات الافريقية وهم الذين احتكوا بالافريقيين في القرون الاخيرة على الارجح أثر صغير اذا ماقورن باثر اللغة العربية .

ولاننسى أيضا أن اللغة العربية تجمع بين الصفتين اللتين قسم اليهما الباحثون لغات العالم وهما : مايعد لغة قومية Hatonal longuage وما يعد لغة ثقافة Cul twal fang. النوع الاول تختص به شعوب معينة كاللغة السويدية أو النرويجية أو الرومانية ، ومعظم لغات العالم من هذا النوع ، والنوع الثاني يتميز بكثرة ماألف به من المعارف الانسانية ، مما يغري الآخرين على تعلمها واللغة العربية من هذا النوع .

ضرورة التوحيد اللغوي :

ان القاسم المشترك الاعظم بين الاقطار الافريقية أنها كانت في مرحلة التحرير وحاولت الاستقلال ونجحت في طرد الاستعمار وسعت الى تصفيته لدرجة أن هناك اتفاقا عريضا بين الكتاب على أن أساس حركة الوطنية الافريقية هي رد الفعل والوعي بالذات ضد الاستعمار الابيض ، يشترك في هذا الكتاب الافريقيون والاجانب ، فالزعيم الافريقي Sithole في كتابه African Nationalism, Capetown 1959 يقول بأن أفريقية تدين بروح الوطن أو الروح القومي للاستعمار الاوروبي ، فهو الذي عبأ الشعور وخلق الوعي بالذات بين الافريقيين وجمع بين شتاتهم القبلي تحت هدف واحد ، وفي الحقيقة كان مجرد الوجود الاوروبي هو أول مفجر للوطنية الافريقية ، وكقاعدة عامة فان الوعي بالذات وبالجماعة لايبدأ جديا الا حين تجد الجماعة نفسها فجأة وجها لوجه أمام جماعة أجنبية مختلفة كل الاختلاف ، والمقاومات المبكرة التي يسجلها تاريخ القارة لبعض القبائل أو المجموعات القبلية هي أولى ارهاصات القومية هنا مثال ذلك مقاومة قبائل داهومي في التسعينات وفي روديسيا في التسعينات أيضا تحت قيادة الميتابيلي Mitabele

وليس هذا عيبا على أية حال فكما يقرر الجغرافي البريطاني Sir Halford Mackinder The Geog pivot of History London 1951.

(أنه لم ينقل أوروبا الوسيطة من مرحلة القبائل الى الشعوب ، ولم يخلق الشعور بالوطنية والوعي بالذات الا الاخطار الخارجية الثلاثة التي أحدقت بشبه جزيرة أوروبا ، التتار من الشرق ، الفيكنج من الغرب والعرب من الجنوب ، وهكذا كان شمال أفريقية أحد العناصر التي كان لها الفضل في تكوين القومية الاوروبية ·

ولكن اذا كان الوجود الاوروبي قد خرج بشكله السياسي على الاقل ، ولم يعد هناك مستوطن أبيض يرتكز على ادارة بيضاء تمثل تحديا سافرا للافريقي ، فماذا بعد ذلك ؟

يقول الجغرافي الامريكي :
J, Kimble, Tropical Africa, vol II, new york, 1962.

(ان معاداة الاستعمار لاتمثل في ذاتها أساسا لبناء دولة وطنية ، بل ان اقامة مثل هذه الدولة يزيل مباشرة الاساس الذي أقيمت عليه) ·

ان ماكانت تسعى اليه الدول الافريقية قبل التحرر هو « رد الاعتبار السياسي والاقتصادي والثقافي » واذا كان رد الاعتبار السياسي قد تحقق فلا يقل عنه أهمية رد

الاعتبار الاقتصادي والثقافي ، أو بعبارة أخرى ازالة الصبغة الاوروبية والعودة الى اللون الاصلي والكيان الذاتي أو اعادة أفرقة أفريقية ·

ولعل من أبرز مظاهر السعي الى اعادة الصبغة الافريقية من الناحية الثقافية البحث في التواريخ الخومية واعادة كتابة التاريخ الافريقي بأيدي الافريقيين ، وفي اللجنة العلمية الدولية التي تم تشكيلها في عام ١٩٧١ تحت اشراف اليونسكو اتفقت على اصدار ثمان مجلدات عن تاريخ أفريقية العام وكان فيها المؤرخون الافريقيون يشكلون ثلثي أعضاء اللجنة البالغ عددهم ٣٠ عضوا ، كما رشحت اللجنة ثمانية من العلماء والمؤرخين الافريقيين كمحررين للمجلدات حتى ينظر الى هذا التاريخ من الداخل ، بمعنى أن هذا التاريخ سيكون الى حد كبير تعبيرا عن تقدير الباحثين الافريقيين لحضارتهم ، وبذلك يمكن الكشف عن الوجه الحقيقي لافريقية ، كذلك كان تأكيد الشخصية الافريقية ، بمجابهة عقدة اللون بالفخر والاعتزاز لدرجة أن مهرجان الفنون والثقافة الافريقية المزمع عقده أطلق عليه مهرجان الفنون والثقافة للسود في أفريقية والعالم · World Black and African festival of Arts and Culture تأكيدا على السواد وأنه ليس مما يجلب العار ، ويمكن أن نضيف الى هذا في اعادة الشخصية الافريقية زوال لغة المستعمر والبحث عن لغة أو لغات أفريقية ·

لقد كانت القارة تتطلع الى الخارج أكثر من الداخل في السياسة كما في الاقتصاد وكذلك في الثقافة ، وكان الاستعمار يقوم بتوجيهها لحسابه ويغلقها عن العالم الخارجي وكان العالم الخارجي بالنسبة لها هو الدولة المستعمرة الام كما يقولون وان كانت اما غير شرعية ، والواقع أن تطور القارة أخذ في التاريخ خطا عكسيا فمعظم الدول في القارات بدأت علاقتها المكانية أولا فيما بينها ، ثم بعد أن ترابطت خرجت الى مرحلة أوسع ، على عكس الوحدات الافريقية التي أعطت ظهر بعضها للبعض الاخر وولت وجهها شطر بريطانيا أو فرنسا أو اسبانيا أو بلجيكا والبرتغال ·· الخ ·

وان كان هذا صحيحا سياسيا واقتصاديا ، فقد كان أكثر صحة ووقعا من الناحية الثقافية بعامة واللغوية بخاصة ، فقد ظهر أن الدولة الاستعمارية حين تضع يدها على اقليم من الاقاليم ، كان من أول أهدافها نشر لغتها عن طريق جعلها لغة الادارة الاستعمارية ، وجعل لغته هي لغة الاقليم الجديد ليحصل على بعض الكتبة وصغار الموظفين لمعاونة كبار الموظفين من الاجانب واعتمد في هذا على البعثات التبشيرية ، فالتعليم في أنجولا مثلا الذي كانت تقوم به هذه البعثات وعرف باسم Ensino de adaptacao يقضي باعطاء برنامج أولي مدته ثلاث سنوات في اللغة

البرتغالية ، والطريف أن البرتغاليين في تقسيمهم لسكان المستعمرات كانوا يقسمونهم الى وطنيين Lndigne في طرف والبرتغاليين في طرف آخر وفريق ثالث من الوطنيين وسط بينهما أطلقوا عليه المندمجين Assimilado وهم الوطنيون الذين يمكن أن يصبحوا مواطنين برتغاليين وأحد شروط هذه المواطنة معرفة اللغة البرتغالية ·

وقد أصبح المستعمر من قوة السيطرة يجعل لغته مادة اجبارية ، فكان طالب الثانوي في المستعمرات الانجليزية اذا رسب في مادة اللغة الانجليزية يعتبر راسبا بوجه عام ولا يحق له الحصول على اجازته العلمية حتى ولو كان مبرزا في بقية المواد ، وذلك حتى يشتد الاهتمام بها ·

وهكذا أصبحت أفريقيا وكأنها ميدان خال لنشر اللغات الاوروبية فوجدنا البرتغال تنشر البرتغالية في مستعمراتها سابقا : موزمبيق وأنجولا وساوتومي وبرنسيب ، ووجدنا اسبانيا تجعل لغة الساقية الحمراء وريوموني وفرناندوبو هي الاسبانية ، ووجدنا فرنسا وبلجيكا تنشران الفرنسية كلغة التعليم والادارة في رواندا بوروندي والكنغو (زائير) موريتانيا وساحل العاج ، وتوجو ، داهومي ومالي والنيجر ، والفولتا العليا والكمرون والسنغال وموريشس وغينيا وبريطانيا تنشر الانجليزية في غمبيا وسيراليون وغانا ونيجيريا وأوغندا وكينيا وتنزانيا وزامبيا وروديسيا ومالاوي وبتسوانا وسوازيلاندا ليسوتو بينما تنشر ايطاليا اللغة الايطالية في الصومال وتحاول نشرها في ليبيا لولا مقاومة اللغة العربية (٣) ·

وبلغ الامر من الطرافة والاستهتار أنه في الاقليم الواحد كان هناك صراع بين لغتين أوروبيتين ، لا على أرض أوروبية ولكن على أرض أفريقية أرض جنوب أفريقية حيث دار الصراع بين لغة البوير (الهولاندية القديمة) والتي أطلقوا عليها الافريقيانية Afrikann وبين اللغة الانجليزية ، وانتهى الصراع بينهما والاعتراف بهما معا كلغتين رسميتين بينما لم تعد للغة من لغات البانتو ، لغات الاغلبية أي اهتمام !!

التفتيت الثقافي :

وهكذا وجدنا التفتيت اللغوي لايصيب القارة في لغاتها الاصلية فحسب ، بل حتى في اللغات الدخيلة ، وتجد دولا مثل غمبيا تنتشر فيها الانجليزية ولكنها محاطة بالسنغال من شمال وجنوب حيث تسود الفرنسية ، وسيراليون الانجليزية لغة وجوارها غينيا الفرنسية لغة ، وغانا تجاورها ساحل العاج وهكذا ·· الخ وهكذا جاءت اللغات الاجنبية لتزيد من كرنفالات اللغات ولتعطي كل دولة ظهرها لجارتها

من الناحية اللغوية ، وتعدى أثر هذا الى المناهج المدرسية والمقررات الجامعية ، وهذه الكتب مطبوعة في لندن ، وتلك مطبوعة في باريس أو بروكسل ، وثالثة مطبوعة في لشبونة وهكذا ٠

واصبح الطالب في نيجيريا يعرف عن وليم الفاتح والملكة فيكتوريا ، والطالب في ساحل العاج يعرف عن لويس الخامس عشر والسادس عشر والثورة الفرنسية ، ولكنهما في نفس الوقت لايعرفان مثلا أن أقدم حضارة لا في أفريقيا ، بل في العالم أجمع كانت حضارة أفريقيا وهي الحضارة المصرية القديمة ، وكلاهما لايعرف أن الابحاث تتجه لتشير الى أن نشأة الانسان من المرجح أنها كانت في أفريقيا سواء الشرقية أو الشمالية ولان الافريقي يستقي معلوماته وثقافته من خلال لغة معينة ، أصبحت هذه اللغة هي نافذته الوحيدة على العالم ، ولم يكن صانع هذه النافذة وانما الذي صنعها ووضعها في مكانها هذا لتطل على منظر معين ، أجنبي عنه ، غريب لديه ، فهي موضوعة له وليس هو بواضعها لذلك اذا عرف شيئا فهو محرف ليخدم أهدافا معينة ، كتهمة الصاق تجارة الرقيق بالعرب دون خلق الله جميعا ، وكأنها لم تكن معروفة أولا لدى الافريقيين أنفسهم ، ولم تكن معروفة لدى اليونان والرومان ، وقامت بها كل الدول الاوروبية في التاريخ الحديث من البرتغال واسبانيا في الجنوب الى فرنسا وهولندا وبلجيكا وبريطانيا ثم تعدت التجارة الدول الأوروبية الى الولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل (٤) **ويجدر بنا هنا أن نشير الى ما قاله جرينبرج في هذا المجال (صحيح أن اللغات الاوروبية وبخاصة اللغتين الفرنسية والانجليزية ، استخدمتا وسيلة لتحقيق اتصال أوسع ، الا أنها في الوقت نفسه كانت الى حد ما حاجزا أعاق التفاهم بين الافريقيين أنفسهم ، فالافريقيون الذين تعلموا اللغة الانجليزية اكتسبوا قيما ثقافية تختلف عن تلك التي اكتسبها أولئك الذين تعلموا الفرنسية ٠**

اللغة أو اللغات الجديدة وشروطها :

من ثم أضم صوتي الى صوت Dr. Kole Omotsho الكاتب النيجيري وأستاذ الجامعة الذي قال بعد افتتاح الاجتماع الاول لاتحاد الكتاب الافريقيين Unions of Writens of African Peofle الذي عقد في أكرا بأن الاتحاد يعتقد في حاجة الافريقيين لأن يعبروا عن شخصياتهم خلال لغة واحدة ونأسف لأن المخططين لمهرجان الفنون والثقافة للسود في العالم والافارقة World Blaek and African fest wal of Arts and wltwe لم يعنوا سوى بالفنون والفولكلور والرقص وكأن اللغة ليست من الثقافة في شيء أو ليست هي عماد الثقافة ٠

اذن لا بد من عمل شيء في هذا المجال لا بد من التوحيد ، على أي مستوى فهذا هو مثار المناقشة ، هل تختار لغة واحدة أم بضع لغات تعد على أصابع اليد ، ومهما كان القرار فيجب لمن يتصدى لاحلال لغة محل لغات أخرى أن يضع نصب عينيه مايلي : ـ

١ ـ ان اللغة وظيفتها تدعيم الاتصالات ٠

٢ ـ نظرا لأن قضية الغاء بعض اللغات واحلال لغات محلها لها حساسية خاصة ، فلا بد وأن تكون العملية تدريجية كما يجب أن يكون توقيتها مناسبا ، وأن يكون قد سبق شرح الغرض من عملية الاحلال بوضوح للناس ٠

٣ ـ أن تنفيذ هذا الامر يقتضى وقتا طويلا لابد فيه من استحداث تغيرات أساسية تؤدي الى تخفيف العزلة وذلك بشق الطرق وتيسير المواصلات والمخالطة وسائر ضروب الاتصال بين المتكلمين بمختلف اللهجات حتى يتيسر تخفيف الفوارق اللغوية بينها ، وهذا يستغرق بطبيعة الحال أكثر من جيل ٠

٤ ـ ان الدول الافريقية هي دول نامية لها من مشكلاتها ونفقاتها مايجعل من اللازم عدم تبديد طاقتها ومواردها فيما لايقبله الناس لانهم ينتهزون أول فرصة ويرتدون ٠

٥ ـ ان اللغة التي تختار لتحل محل لغات أخرى يجب أن تتميز بسعة الانتشار وأن تكونَ قد تعدت حدود القبيلة الواحدة ، بل والدولة الواحدة ٠

واذا كان لي أن أقترح ـ تصور شخصي ـ خريطة أخرى للغات في أفريقيا تحل محل الخريطة المعقدة الحالية فيمكن القول بما يلي :

١ ـ اللغة العربية في القسم الشمالي وهو مجال انتشارها وليس هناك مشكلة في هذا الاقليم لانها لغة واحدة ، ويمكن أن تمتد الى أبعد من حدودها الحالية حيث أن المنطقة التي خلفها تعتبر ظلا لها حيث تنتشر الالفاظ العربية في مفردات اللغات المحلية الاخرى ٠

٢ ـ الهوسا : في غرب أفريقيا حيث لها من سعة الانتشار في أقطار غرب أفريقيا الناطقة بالفرنسية والانجليزية مما يؤهلها بأن تقوم بهذه الوظيفة ٠

٣ ـ السواحيلي : في أفريقيا الشرقية ، وقد تم هذا بالفعل في كينيا وتنزانيا ويمكن أن تمتد الى أوغندا وموزمبيق على الاقل ·

٤ ـ لغة بانتويه Bantoid Fang في كل الهضبة الجنوبية لأن اللغات واللهجات المختلفة في الهضبة الجنوبية تنتمي كلها لعائلة لغة البانتو ·

قد يسأل البعض وماذا عن اللغات الاوروبية الانجليزية والفرنسية وعيرها ، هل تلغى بجرة قلم ؟ نقول لا ·· يحتفظ بها ولكن كلغات ثانية مؤقتا ولا يبدأ تعلمها في مراحل التعليم الابتدائي ·

ونظرا لأن الموضوع ليس بالسهولة التي قد يتصورها البعض ، فلا بد من تكوين هيئة فنية أو أكاديمية لبحث الاقتراحات في أكثر من دولة أفريقية وعربية ممن لهم اهتمام بنشر اللغة العربية ، والمحافظة عليها ، ويكون نواة الهيئة في مصر معهد البحوث والدراسات الافريقية التابع لجامعة القاهرة · ويلاحظ أن الهيئات يجب أن تضم المتخصصين في اللغات العامة وعلم الاصوات Phone tics والتراكيب Structwes فضلا عن المتخصصين فيالدراسات الافريقية عموما نظرا لأن الموضوع له جوانب أخرى غير لغوية بحتة ·

واذا كنا قد أنشأنا أخيرا قسما للغات الافريقية في معهد البحوث والدراسات الافريقية ، فاننا نقترح على الدول الافريقية انشاء كراسي للغة العربية وآدابها في الجامعات الافريقية حيث يتم الاتصال وتبادل المعرفة والتقارب كما ذكرنا من قبل ، والغريب في الامر أن بعض الجامعات الافريقية تنتدب مستشرقين بريطانيين للغة العربية في معاهد الدراسات الافريقية التي أنشأتها بعض الجامعات الافريقية لمعاونة الطلاب في دراسة المصادر الخاصة بالتاريخ الافريقي ·

وينبغي على الدول العربية والاسلامية أن تبذل قصارى جهدها في هذا الميدان محافظة على اللغة العربية لغة القرآن ، وعملا على نشر مبادىء الاسلام بين المواطنين الافريقيين ·

الهوامش والمصادر

(١) في الدراسات اللغوية الخاصة بافريقية لابد وأن نذكر مايلي : –

(أ) ان الاخصائيين المعنيين بهذه اللغات لم يتفقوا على التفرقة بين مايعد لغة وبين مايعد لهجة متفرعة عن لغة ما .

(ب) ترتب على ذلك تعذر احصاء هذه اللغات احصاء دقيقا ، ويتضح هذا من الفروقات في تقدير عدد اللغات مما يدل على مدى الخلط والاضطراب في دراسة اللغات الافريقية .

(٢) كانت توجد في افريقيا لغات مكتوبة قبل عهد الاستعمار ، واكثرها مدون بأحرف عربية مثل لغة بعض قبائل البربر ، والفولاني ، والهوسا في غربي أفريقيا ، واللغة السواحيلية في مشرقيها ، وقد قام المبشرون بتدوين هذه اللغات التي سبق تدوينها بالاحرف العربية وذلك بتدوينها مرة أخرى بالحروف اللاتينية وحذفوا منها بعض الالفاظ العربية التي دخلتها على أمل القضاء على مؤثرات الثقافة العربية في أفريقية ، وقد عد وسترمان ذلك التدوين بالكتابة العربية دليلا على الذكاء الفطري والطاقة العقلية عند الشعوب السوداء في القارة الافريقية .

(٣) يجب الحذر فيما يختص بانتشار اللغات الأوروبية ، فليس معنى كون الانجليزية أو الفرنسية لغة رسمية في دولة أفريقية ، أن سكان تلك الدولة يتكلمونها كافة ، وانما يتكلمها الطبقة المتعلمة وهي نسبة ضئيلة من السكان .

(٤) عرفت افريقيا والعالم الرقيق منذ من زمن بعيد ، والدول الاغريقية كانت أكبر مثال كلاسيكي على كثرة الرقيق لدرجة أن الباحثين يقدرون الرقيق في اليونان القديمة بأكثر من ٦٠٪ من سكان المدن الاغريقية ، والدولة الرومانية كانت أيضا تشرع الرق قانونا ، وكانت تجارة الرقيق التي قام بها العرب محدودة نظرا لان أسواقها كانت الخرطوم أو القاهرة أو بغداد أو البصرة ، فكان الرقيق يستخدمون للخدمة في المنازل أو الحراسة ، وكانت بذلك رمزا للابهة ، من ثم لم يقدر على اقتنائهم سوى الامراء والاغنياء ، ومما هو جدير بالذكر أن الرقيق لم يكونوا من أفريقية فحسب ، بل كان منهم رقيق أبيض من الشراكسة والاتراك وغيرهم ، لهذا فان تجارة الرقيق العربية كانت محدودة بحيث لم تؤثر على اعداد السكان ولم تقض على قبائل بأسرها أو تصيب غيرها بالتفكك والانهيار . راجع :
R. Coupland, The British Anti - Slavery movement , London 1933.
ومحمد رياض – كوثر عبد الرسول : الاقتصاد الافريقي ، القاهرة ١٩٦٢ ولم تبلغ هذه التجارة أوجها الا حينما أدلى الاوروبيون بدلوهم فيها ، وكان الطلب الضخم على الرقيق للامريكيتين وجزر الهند الغربية بمثابة نبضات قوية لهذه التجارة ، فاذا قدر عدد الرقيق الذين جلبوا للعمل في اسبانيا والبرتغال قبل القرن الخامس عشر ببضعة آلاف فقد ارتفعت الارقام في القرن السادس عشر ، وبلغت مداها في القرن الثامن عشر ، الى أن حرمت تجارته في منتصف القرن التاسع عشر ، وأما عن حجم هذه التجارة فهو تقديري ، ويقدر المصدر من شرق أفريقية في

مطلع القرن التاسع عشر بنحو ١٥ ألف سنويا ، ثم ارتفعت الى نحو ٤٠ الفا في العقد الثالث من ذلك القرن ، وأما خسائر غرب أفريقية من تجارة الرقيق الاوروبية في الاربعة قرون المذكورة ، فتقدر مابين ٣٠ ، ٤٠ مليون نسمة ، وهؤلاء يشملون من وصلوا أحياء الى العالم الجديد ، فضلا عن الذين هلكوا بسبب صعوبات النقل والامراض ، والذين قتلوا في أفريقيا ذاتها نتيجة الاغارات وعمليات القنص البشري · ومن الصعب معرفة نصيب كل جزء من أجزاء أفريقية في هذه التجارة على وجه الدقة ، ولكن يرجح أن ثلثي الرقيق خرج من ساحل الذهب وانجولا بالتساوي ، وان كانت هناك مناطق ذاع صيتها في توريد الرقيق مثل الكنغو في القرنين السادس عشر والتاسع عشر ، ورغم تفاوت عدد الرقيق من قرن الى قرن فقد نقلت كل من بريطانيا والبرتغال نحو ثلث الشحنات ، ونقلت هولندا نحو ١٨٪ ، وفرنسا نحو ١٢ بالمئة بينما كان نصيب الولايات المتحدة الامريكية ٥ بالمئة ، وكانت السيطرة للبرتغال على تجارة القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وهولندا خلال ثلاثة أرباع القرن السابع عشر وبريطانيا في الفترة بين ١٦٧٢ ، ١٨٠٨ ، وبعد ذلك كانت الغلبة لسفن الولايات المتحدة الامريكية والبرازيل واسبانيا وفرنسا وفي الحق لم تكن هناك سلعة مربحة في غرب أفريقية طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر مثلما كانت سلعة الرقيق ، فلا الذهب ولا العاج ولا البهارات استطاعت ارباحها أن تلحق بأرباح الرقيق وكانت شدة الطلب من عوامل رفع سعر الرأس وزيادة تشجيع القبائل الافريقية على مهاجمة بعضها البعض بتوزيع الاسلحة النارية عليها ، كما كانت سبب منافسة حامية بين التجار الأوروبيين من بريطانيين وفرنسيين وهولنديين الخ ·· فقبل نهاية القرن السابع عشر كان القباطنة يدفعون ماقيمته ٥ جنيهات للرأس ارتفعت الى ١٧ جنيها عام ١٧١٢ راجع : د · محمد عبد الغني سعودي : الاقتصاد الافريقي والتجارة الدولية في القاهرة ١٩٧٣ هي : ٢٠ ـ ٢٥ Neumark, D. (Foreign Trade and Economic Development, in Africa, Stanford, 1964, pp. 51 — 54) . Hopkins, A. G., An Economic History of West Africa, London, 1973. pp. 87. 112.)

وكانت هذه التجارة غير المشرفة تلقى تأييد كبار الساسة في أوروبا ، في انجلترا مثلا قاوم وزير المستعمرات لورد دارتموت (١٦٧٥) حركات منع الرق ، وقيل في ذلك أن تجارة الرق ليست سوى ضرورة اقتصادية (السفينة الواحدة تربح في الشحنة الواحدة ٦٠ر٠٠٠ جنيه) كذلك كان هناك أمراء البحر مثل الاميرال رودني ونلسن يرون في تجارة الرقيق تدريب للالاف المؤلفة في البحرية البريطانية وبالتالي هي حافز على استمرار مجد الاسطول البريطاني ·